دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press

مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Ibn Khaldon Center for Humanities and Social Sciences

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 22 نوفمبر 2020
تاريخ القبـــول: 7 مايـــو 2021

مقالة بحثية

التكامل بين اللسانيات، والعلوم الإنسانية والاجتماعية في إبراز هدايات القصص القرآني؛ لمكافحة خطاب الكراهية

عبد الرحيم خير الله عمر الشريف
أستاذ التفسير وعلوم القرآن، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة الزرقاء، الأردن
rhim75@hotmail.com

ملخص

يعاني الدعاة المصلحون من ضعف تأثير وسائلهم المُتَّبعة؛ للحد من خطاب الكراهية المنتشر بين أطراف الخطاب التداولي في مواقع التواصل الاجتماعي، وغيرها من المنابر الإعلامية، جاء هذا البحث؛ لمناقشة إمكانية توظيفهم لما تقدمه اللسانيات من نظريات معرفية: كاللسانيات البراغماتية، وبخاصة مبدأ التعاون الذي وضع أسسه بول غرايس، يعتمد البحث مجموعة من المناهج الاستدلالية والوصفية، يُظهر البحث حضور مبدأ التعاون في خطاب الأنبياء التداولي، ويبيِّن أنَّ خرقهم هذا المبدأ كان لخدمة أغراض اقتضاها الحوار، وكل ذلك بهدف تيسير سبل تبليغ الموضوع الرئيس، وتقليل بواعث خطاب الكراهية. يوصي الباحث بالاستفادة من المساحة اللغوية التي توفرها الدراسات اللسانية الحديثة؛ لمقاربة النصوص الشرعية من زوايا مبتكرة جديدة، دون أن يكون الباحث أسيرًا لنظرياتها غير المستقرة، ولا أنْ يجعلها معيارًا لنقد النصوص الشرعية القطعية، ومراعيًا قداسة القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: القصص القرآني، اللسانيات، بول غرايس، مبدأ التعاون، خطاب الكراهية

للاقتباس: الشريف، عبد الرحيم خير الله عمر، «التكامل بين اللسانيات، والعلوم الإنسانية والاجتماعية في إبراز هدايات القصص القرآني؛ لمكافحة خطاب الكراهية»، مجلة تجسير، المجلد الثالث، العدد 1، 2021

https://doi.org/10.29117/tis.2021.0057

© 2021، الشريف، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press

مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Ibn Khaldon Center for Humanities and Social Sciences

OPEN ACCESS
Submitted: 22 November 2020
Accepted: 7 May 2021

Research Article

The Integration between Linguistics, Humanities, and Social Sciences in Highlighting the Guidance of the Quranic Stories in Combating Hate Speech

Abdul Rahim Khairallah Omar Sharif
Professor of Interpretation and Qur'an Sciences, Department of Religion Foundations, Faculty of Sharia
rhim75@hotmail.com

Abstract

Preachers' methods increasingly have little influence in limiting the spread of hate speech in social networks and other media platforms. This research discusses the possibility of benefiting from the epistemological theories presented in pragmatics linguistics, namely Paul Grice's Cooperation Principle. I begin by justifying the accuracy of that uses; then, I trace its presence in the prophets' speech utilizing a set of inductive, deductive, and descriptive methods. The research shows the presence of the cooperation principle in the deliberative discourse of prophets. Additionally, it proves that their violation of this principle was to serve the purposes of certain dialogues, all to facilitate communicating the main issues and reducing the motives of hate speech. The research recommends taking advantage of the linguistic tools of modern linguistic studies to approach religious texts from new innovative aspects, without being captive to its theories, nor making it a standard for critiquing fundamental religious texts, and taking into account the holiness of the Quran.

Keywords: Quranic stories; Linguistics; Paul Grice; The Cooperation Principle; Dialogue; Hate speech

Cite this article as: Sharif A. K. O., "The Integration between linguistics, humanities, and social sciences in highlighting the guidance of the Quranic stories in combating hate speech", *Tajseer*, Volume 3, Issue 1, 2021

https://doi.org/10.29117/tis.2021.0057

© 2021, Sharif A. K. O., licensee QU Press. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited..

مقدمة

يشعر الراصد المحلل لخطاب الكراهية الموجود في وسائل التواصل الاجتماعي، بحاجة أطراف الخطاب التداولي المختلفين في منطلقاتهم الثقافية؛ للتوافق حول كلمة سواء يرتضونها؛ لتضبط حوارهم بآداب سلوكية وقواعد أخلاقية يلتزمها أطراف الخطاب، غير منسوبة حصريًا لثقافة أحد الأطراف يُلزِم غيره بالتزامها، فيُشاغب الآخر في مشروعيتها؛ لكي لا يشعر بهزيمة نفسية عند التزامه بها؛ لذا سيناقش البحث مشروعية توافق الدعاة مع مختلف الأطراف على التزام أركان مبدأ التعاون، الذي وضع أسسه بول غرايس، من خلال استقراء حضوره في الخطاب التداولي للأنبياء، مجيبًا عن الأسئلة الآتية:

1 - ما مشروعية توافق الإنسان الداعية مع الآخر على استثمار وسيلة مبدأ التعاون، من أجل ضمان خطاب تداولي يُعينهما على الوصول إلى ثمرة الغاية التخاطبية؟

2 - ما الأدلة التي تثبت أن مبدأ التعاون كان حاضرًا في خطاب الأنبياء التداولي؟

3 - ما الأسباب التي دفعت بعض الأنبياء لخرق مبدأ التعاون؟

4 - كيف يسهم التزام أطراف الخطاب بمبدأ التعاون في الحد من ظاهرة خطاب الكراهية؟

تلك الأسئلة لم تعتن بإجابتها أكثر الدراسات السابقة، وبخاصة تلك التي عُنيت بتتبع هدايات القصص القرآني حيث اكتفت – في معظمها – بتدبر ما ترشد إليه من هدايات وعِبر تربوية: ككتاب: «مع قصص السابقين في القرآن»[1]، وكتاب: «المستفاد من قصص القرآن»[2]، والكتابان يتحدثان عن سرد تاريخي لأبرز محطات القصص القرآني، ثم التعقيب عليها بذِكر الهدايات التربوية المستفادة منها.

كما توجد دراسات تناولت هدايات لجزئيةٍ مِن القَصص القرآني، منها بحث: «نبي الله داود ونبأ الخصمين»[3]، اقتصر عمل الباحث فيه على تحليل الخطاب في القصة، وقريب منه بحث بعنوان: «طالوت وجالوت»[4]، تناول الأسس التي بُني عليها الخطاب التداولي لتبرير اختيار طالوت ملكًا.

وتلك الدراسات تقاطعت افتراضاتها مع افتراض هذا البحث، بأن الحوار الناجح بين أطراف الخطاب التداولي ينبغي أن يكون بين أطراف متعاونين، يحرص كل طرف منهم على إنجاح عملية التواصل، بغض النظر عن الأهداف الشخصية والاجتماعية التي يحاول كل طرف تحقيقها من هذا الخطاب.

لكن هذا البحث يختلف عن الدراسات السابقة، بالبحث في مدى استخدام الأنبياء وسيلة مبدأ التعاون في خطابهم التداولي، وتعليل سبب خرقه أحيانًا.

كما سيقتصر البحث على استقراء الخطاب التداولي لقصص بعض أشهر الأنبياء، من أجل دراسة لنماذج يبرز فيها حضور مبدأ التعاون في قصصهم أو خرقهم له، ومن ثم استنتاج مشروعية التزام الداعية به، متعاونًا مع أطراف خطاب تداولي تخالفه في آدابه الناظمة لقواعده التخاطبية؛ لذا فليس غرض البحث نقد مبدأ التعاون، ولا مقارنته بالمبادئ والنظريات التي جاءت بعده: معدلةً له، أو مظهِرة ضعفه.

وسيستعين البحث بالمنهج الوصفي: للتعريف بمبدأ التعاون وما يتعلق به من أركان وخروقات، مع ذكر أمثلة توضيحية، ثم المنهج الاستقرائي؛ لتتبع أبرز مظان أمثلةِ حضورِ مبدأ التعاون في قصص القرآن الكريم، ثم المنهج

1 - للدكتور صلاح الخالدي (دار القلم، دمشق، ط5، 2007م).

2 - للدكتور عبد الكريم زيدان (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1998م).

3 - للدكتور عطية محمد سالم (مجلة الأزهر، القاهرة، سنة 43، عدد 1، 1973/3م، ص940-944).

4 - للدكتور مصطفى الزرقا (مجلة التمدن الإسلامي، دمشق، مجلد20، جزء 33، 1953/11م، ص753-757).

الاستنباطي؛ للنظر في وجه الاستفادة منها فيما يختص بحضور مبدأ التعاون، وتعليل سبب خرقه... مقسمًا البحث إلى مباحث ثلاثة بحسب التفصيل الذي سيأتي.

أولًا: الإطار النظري: لمحة تعريفية عن مبدأ التعاون وبيان أركانه وأسباب خرقه

وضع بول غرايس (Paul Grice) أسس مبدأ التعاون (The Co-operative principle)، في محاضرة ألقاها في جامعة هارفارد (Harvard University) سنة 1967م[5]، ذكر فيها أن استعمال الإنسان للُّغة - بقصد الخطاب التداولي - يكون بتكامل **أمرين**: فاعلية عقلية (Rational activity)، وتعاونية (Cooperative)؛ ولينجح الخطاب التداولي ينبغي أن يتعاون أطرافه ويتوافقوا على مبدأ أطلق عليه مصطلح: «مبدأ التعاون» (The Co-operative principle)، وحدّد أسس مبدئه بأركان **أربعة**: الكم [الكمية] (Quantity)، والكيف [النوعية] (Quality)، والملاءمة [المناسبة] (Relation)، والجهة [الأسلوب] (Manner).

- **الركن الأول (الكم):** يرتبط بـ (كمية المعلومات) التي يجب تقديمها لمن تخاطِب، ويتحقق بأن تجعل إسهامك الإخباري بالقدر المطلوب، بلا زيادةٍ غير ضرورية، ولا نقصٍ مخل.
- **الركن الثاني (الكيف):** يرتبط بـ (نوعية صدق المعلومات) فلا تقل ما تراه لا يطابق الواقع [كذبًا]، وما لا برهان لديك على صدقه.
- **الركن الثالث (الملاءمة):** يرتبط بـ (مناسبة) طريقة افتتاح الخطاب، وملاءمة محتواه مع صلب الموضوع.
- **الركن الرابع (الجهة):** يرتبط بـ (وضوح الخطاب) باجتناب ما فيه غموض وتشويش[6].

وقد لاحظ غرايس أن من الواجب أن يهتم أطراف الحوار بالعلاقة بين المعنى غير الطبيعي والمعنى الطبيعي، فالفرد قد يكون قادرًا على الوصول إلى المعنى المبسط الذي يقصده المتكلم في مناسبة معينة، لكن - من ناحية أخرى - قد لا يتأتى للفرد الوصول إلى المعنى المراد[7]؛ فالمتكلم «ليس بإمكانه التلفظ بقولٍ ما، دون التسليم سلفًا بوجود معطىً مشترك بينه وبين مخاطبه، وإلَّا يكون الإخبار غير منسجم مع تلك الخلفية المشتركة»[8].

وحين يتحاور أطرافٌ عقلاءُ جادُّون فإنهم يتبعون قواعد ضمنية لازمة؛ ليستمر التواصل التداولي بينهم[9]، فغاية وضع أركان المبدأ الأربعة: ضمان استخدام أطراف الخطاب التداولي لمبدأ التعاون وسيلةً للتواصل، وسيلةً متوافق عليها، يفهمها المخاطَب بيُسر وبلا تعقيد[10]، تلك الوسيلة يتعاون الأطراف على الالتزام بقواعدها كتوافقهم - مثلًا - على التزام بعدم الحيدة عن الهدف، وذكر الدليل، وترك الأغلوطات.

وقد يُخرِق مبدأ التعاون لسبب يقتضيه المقام، أطلق عليه تعبير الاستلزام الحواري - أو الاستلزام التخاطبي - (Conversational implicature)[11]، وبهذا ظهر التمايز بين **أمرين**: القوة الإنجازية الظاهرية للخطاب، والقوة الإنجازية المستلزَمة له[12]؛ فالناس في خطابهم التداولي قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس

5 - Thomas, J. Thomas, *Meaning in Interacation, An Introduction to Pragmatics* (London & New York: Longman, 1996), p. 56.

6 - Paul Grice, *Logic and conversation*. In Cole, P.; Morgan, J. (eds.), Syntax and semantics, 3: Speech acts (New York: Academic Press, 1975), pp. 41-58.

7 - Paul Grice, Studies in the Way of Words, (Cambridge,MA: Harvard University Press, 1989), p. 116.

8 - ريم الهمامي، **الاقتضاء و انسجام الخطاب** (بيروت: دار الكتاب الجديد، المتحدة، 2013)، ص 39.

9 - انظر: فيليب بلانشيه، **التداولية من أوستين إلى فوجمان**، ترجمة صابر الحباشة (دمشق: دار الحوار، 2007)، ص 84.

10 - انظر: إيمان جربوعة، «أطروحة غرايس في اللسانيات التداولية»، **مجلة آداب ذي قار**، المجلد 5، العدد 20 (2016)، ص 7.

11 - انظر: محمود عكاشة، **النظرية البراجماتية اللسانية** (القاهرة: مكتبة الآداب، 2013)، ص 87.

12 - انظر: أدراوي العياشي، **الاستلزام الحواري** (الرباط: دار الأمان، 2011)، ص 95.

ما يقولون؛ لذا فعلينا أن نعي الفرق بين معنى الألفاظ الظاهرية للكلام والمعنى الذي يقصده المتكلم[13].

وإذا حاولنا أن ندمج بين حثّنا لأطراف الخطاب على التزام مبدأ التعاون، وتفهُّمنا لمقتضيات خرق أركانه، فيمكننا التوفيق بينها بقاعدة: «ليكن إسهامك في الحديث متناسبًا مع إطار الموضوع القائم»[14].

وفيما سيأتي أمثلة توضيحية، كلُّ مثالٍ منها يُمثِّل حوارًا على شكل خطاب تداولي، يعبّر(أ) عن طرفه الأول، و(ب) عن الثاني:

– الحوار الأول: بين الوالد (أ) وابنه (ب):

أ - أين سيارتي؟

ب - ستجدها تحت الشجرة الكبيرة في فناء بيتنا.

في هذا الخطاب التداولي التزام بمبدأ التعاون، ولم يتم خرق أي ركن من أركانه.

– الحوار الثاني: بين الوالد (أ) وابنه (ب):

أ - هل حللتَ واجب الرياضيات، وحفظتَ القصيدة؟

ب - لقد حفظتُ القصيدة غيبًا عن ظهر قلب.

في هذا الخطاب خرق لركن الكم [الكمية]؛ لأن السائل (أ) سأل عن سؤالين، لكن جاءت الإجابة (ب) عن واحدٍ فقط؛ بهدف الهروب من العتاب.

– الحوار الثالث: حوار بين الابن (أ) وأمه (ب):

أ - أين قميصي الأزرق؟

ب - اخرج من باب الصالة الداخلي، ثم توجه إلى الدرج الذي يصعد للأعلى، اصعد الدرج لنهايته، وستجد بابًا يفضي إلى غرفة نومك، افتح الباب وستجد بجواره خزانتك، افتحها وستجد قميصًا أزرق بداخلها، هو قميصك الأزرق الذي من عادتي بعد غسلي له أن أضعه في خزانتك.

في هذا الخطاب خرق لركن الجهة [الأسلوب]؛ لأن إجابة الأم - (ب) - فيها تطويل كان من الممكن اختصاره بـ: «في خزانتك»، والذي دعاها لهذا الخرق هو التهكم من سؤال ابنها الذي إجابته بديهية.

من خلال تدبر الحوارات السابقة يتبين في الحوار الأول عدم خرق مبدأ التعاون أثناء الخطاب التداولي، ولكن في الحوارين التاليين تمَّ خرق مبدأ التعاون لما اقتضته غايات مختلفة - عُرِفت من المقام (السياق وواقع الحال)، بخطاب تداولي يستخدمه عامة الناس تلقائيًا في تواصلهم الروتيني، فقد كان المجيب عن السؤال في الحوارين يقول كلامًا ويقصد غيره، والذي دعاه إلى ذلك: مجموعة من الظروف والأسباب المحيطة بخطابه[15].

وبناءً على ما سبق نستطيع تفهُّم الاستلزام الحواري في الحوار التالي بين الأم وابنها:

– أتشعر بالنعاس؟

– لا أرغب بتنظيف أسناني[16]!

13 - انظر: أسماء بن قلح، «المبادئ التخاطبية بين الالتزام والخرق في الليلة الثامنة من مناظرة السيرافي النحوي ومتّى بن يونس المنطقي»، **مجلة التواصل الأدبي**، المجلد 8، العدد 1 (2018)، ص 180.

14 - أحمد واضح، «**الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي**»، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغة العربية (جامعة وهران، الجزائر، 2012)، ص 128.

15 - انظر: العياشي، **الاستلزام الحواري**، ص 7.

16 - آن روبول، **التداولية اليوم**، ترجمة: سيف الدين دغفوس (بيروت: دار الطليعة، 2003م)، ص 61.

وإذا تأملنا ما سبق فإننا نستطيع استنتاج أنَّ فكرة مبدأ التعاون التي وضعها غرايس، لا تقتصر على احترام أطراف الخطاب التداولي لأركان المبدأ من أجل حوار عقلاني منتج مثمر وحسب، بل تتعداه إلى أن يتفكر الأطراف في سبب خرق أحدهم لأركان هذا المبدأ، وما الرسالة التي يريد إيصالها بذلك الخرق؟

لكن: هل تعرف مصادر الثقافة الإسلامية مبدأ التعاون؟

عند استقراء مصادر الثقافة الإسلامية: من قرآن، وسنة، ومعارف، وفنون، نجد كثيرًا من الشواهد على عدم مخالفة أطراف الخطاب التداولي أركان مبدأ التعاون، وشواهد أخرى على عدول أحد الأطراف عن الإجابة المباشرة؛ لأغراض مختلفة، لنتأمل علة خرق الركن الثالث (الملاءمة) في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: 189]؛ فالصحابة الكرام سألوا عن (سبب) تغيُّر شكل القمر، فجاء الجواب عن (الحكمة والفائدة) من خلقه؛ بهدف لفتِ الانتباه إلى أنَّ العاقل هو من يستثمر الظواهر الطبيعية التي أكرمه الله بها في عمارة الكون؛ لأن «اللائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك، ويهتمُّوا بالعلم بها»[17].

وورد نحوه في السنة النبوية حين سألَ رجلٌ «النَّبيَّ ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددتَ لها؟ قال: لا شيء، إلاَّ أنِّي أحبُّ اللهَ ورسولَه، فقال – ﷺ: «أنتَ مع مَن أحببتَ»[18]، فنجد الرسول الكريم – ﷺ – في جوابه النبوي «أعرضَ عن الجواب عن الساعة، إلى ذِكر الاستعداد لها؛ لأنه هو المأمور به، وهو الذي يعني السائل – وغيره – وينبغي الاهتمام به»[19].

كما نجد في السنة مثالًا على خرقٍ نبويٍّ لركن التعاون الأول (الكم)، بسبب استلزام حواري مقصود شرعًا، حين سألت امرأة الرسول – ﷺ – عن صحة حج صبي تحمله، فأجابها: «نعم، ولكِ أجرٌ»[20]، قال أبو غدة: «وزادها: «ولكِ أجرٌ»؛ إذْ هي المتوليةُ لأمرِه، فأفادها بثبوتِ الأجر لها، وذلك باعِثٌ قويٌّ على حُسنِ فعلِها، والاقتداءِ بها، ممن يأتي بعدها من الأمهات والآباء، في تحمُّلِ المشقّات الشديدةِ باصطحاب الأولاد الصغار للحجّ إلى بيت الله المعظم، ليُغرَس في قلوبهم ومَشاهد أنظارهم هذا المشهدُ العظيم، وينطبعَ في نفوسهم هذا الركنُ الخامسُ الجسيم»[21].

وقد عرف علماء العرب ذلك وأطلقوا عليه مصطلحاتٍ أشهرها مصطلح: (أسلوب الحكيم)، قال السَّكاكي: «ولهذا النوع – أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر – أساليب متفننة، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولهذا النوع مدخلٌ فيه بجهة من جهات البلاغة، على ما تنبّه على ذلك منذ اعتنينا بشأن هذه الصناعة، وترشد إليه تارة بالتصريح وتارات بالفحوى... كأسلوب الحكيم فيها، وهو: تلقِّي المخاطب بغير ما يترقب»[22]، فتمَّ العدول إلى أسلوب الحكيم من أجل «تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحملِ كلامه إلى خلاف مراده؛ تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره؛ تنبيهًا على أنه الأولى بحاله»[23].

وأحيانا يطلقون عليه مصطلح (تجاهل العارف)، وهو: سَوق المعلوم مساق غيره؛ لنكتةٍ، كقوله – تعالى – حكايةً عن قول نبينا – ﷺ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ: 24]»[24].

17 - عبدالله البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م)، ج 1، ص 172.

18 - رواه البخاري (3688)، ومسلم (2639).

19 - عبدالرحمن بن رجب، **فتح الباري** (الرياض: دار الغرباء، ط 1، 1417هـ)، ج 1، ص 126.

20 - رواه مسلم (1336).

21 - انظر: عبدالفتاح أبو غدة، **الرسول المعلم** (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، 2005)، ص 113.

22 - يوسف السكاكي، **مفتاح العلوم** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م)، ج 1، ص 327.

23 - محمد أبو موسى، **خصائص التراكيب**، (القاهرة: مكتبة وهبة، 2006م)، ص 270.

24 - علي الجرجاني، **التعريفات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م)، ص 53.

لكن الكفوي عدل عن تسميته بتجاهل العارف إلى (سَوق المعلوم مساق غيره)؛ رعايةً للأدب، واحترازًا عن إطلاق وقوعه على كلام الله تعالى، قال: «هو عبارة عن سؤالِ المتكلم عمَّا يعلمه، سؤالَ مَن لا يعلمه؛ ليوهم أنَّ شدة الشبه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبَّه بالمشبَّه به... فإن كان السؤال عن الشيء الذي يعرفه المتكلم خاليًا من التشبيه لم يكن من هذا الباب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[طه: 17]؛ فإنَّ القصد الإيناس لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومِن الناس مَن يجعله مِن تجاهل العارف مُطلقًا سواء كان على طريق التشبيه أو على غيره، ولا يخفى ما في التعبير به في النظم الجليل من سوء الأدب»[25].

لنتأمل الخطاب النبوي التداولي مع سهيل بن عمرو؛ للاتفاق على صلح الحديبية، «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: «اكْتُبْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: «أَمَّا بِاسْمِ اللهِ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِن اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، فَقَالَ: «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ»، قَالَ: «لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لاتَّبَعْنَاكَ، وَلَكِن اكْتُبِ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ»، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ»[26].

نجد الحكمة النبوية في الاستجابة لطلب سهيل، لا للموافقة على دعواه، بل لإعطائه رِبحًا شكليًا مقابل ربح أكبر، بدون ضرر يؤثر على هدف الخِطاب، بمداراة جعلته يتَقبَّل مِنه المصطلحات الشكلية التي يرتضيها؛ بل إنه بذلك جعله ينظر إليه بصفته شريكًا متعاونًا لا خصمًا.

لقد تنازل عن شكليَّةٍ دون أن يتنازل عن هدفه – بإبرام صلحٍ بنودُه مآلها لصالح الهدف الاستراتيجي العظيم وهو نشر دعوة الخير في أفضل الظروف؛ فالتمسك بجملة: «بسم الله الرحمن الرحيم»، بدلاً عن: «باسمك اللهم»، لا يخدم الهدف الرئيس، كما لا يضره العدول عن جملة: «محمد رسول الله»، واستبدالها بجملة يتوافق عليها الطرفان كجملة: «محمد بن عبد الله»، وصدق القائل: «أول شغب الرجل تعلّقه بالألفاظ»[27].

وإن سأل سائل: لماذا لا نخاطب الناس بما نريد بمبدأ التعاون؟ ولماذا لا يوضِّح المخاطِب علة عدم تعاونه؟

فالجواب: أغراض خرق أركان مبدأ التعاون الإيجابية كثيرة، مِن أبرزِها تنبيه الأطراف الأخرى لنكتةٍ ما؛ لأن المركوز في الطبع أنَّ الشيء إذا نِيلَ بعد الطلب له – أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه – كان نَيله أحلَى، وبالمزيَّة أولى، فكان موقعه مِن النفس أجلّ وألطف[28].

وقد يُخبَر الطرف الآخر بعِلة عدم التزامه الحرفيّ بأركان مبدأ التعاون؛ لخدمةِ هدف الخطاب التداولي، وللحدِّ من خطاب الكراهية، كخطاب عون بن عبد الله مع خوارج الموصل الذين حكموا بردة عمر بن عبد العزيز، فجاء خطابه التداولي معهم في جملٍ متسلسلةٍ، تقديرها ما سيأتي:

أ - إنكم كنتم تطلبون مَن يَعمل بِعمل عمر بن الخطاب، فلمَ حين جاءكم كنتم أنتم أول مَن نفرَ عنه؟

ب - صدقت، لكنه لم يتبرأ من الذين كانوا قبله، ولم يلعنهم (يقصدون علي بن أبي طالب وأهل التحكيم).

ج - ما عندكم بلعنِ هامان؟

د - ما لعنّاه قط!

25 - أيوب الكفوي، **الكليات**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994م)، ص 517. وانظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ج 1، ص 427.

26 - رواه مسلم (1784). وفي شرح النووي: «وافقهم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم، وأنه كتب باسمك اللهم، وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله، وترك كتابة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح، مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور، أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد، وكذا قوله: محمد بن عبد الله هو أيضًا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». انظر: يحيى النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج** (بيروت: دار الخير، 1994م)، ج 12، ص 139.

27 - علي التوحيدي، **البصائروالذخائر** (بيروت: دار صادر، 1988م)، ج 7، ص 75. ونسب القول لهشام المتكلم.

28 - انظر: عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة** (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001)، ص 105.

هـ - أيسعكم أن تتركوا لعن وزير فرعون، المنفِّذ لأمره، الذي بنى له الصرح، ولا يسعكم أن تتركوا لعن عمر ؟! فانقطعوا ورجع منهم طائفة كبيرة[29].

من خلال تأمل الجُمل التداولية السابقة نلاحظ ما يلي:

1 - تعاون الخوارج مع عَونٍ؛ فأجابوه في الجملة (ب) عن سؤاله في (أ)، دون أن يخرقوا أي ركن من أركان مبدأ التعاون.

2 - خرق عون – في (ج) – ركن (الملاءمة)؛ حيث سألهم سؤالًا لا علاقة له – ظاهريًا – بغاية الخطاب التداولي، ولكنه - في (هـ) - علَّل سبب خرقه، وبيَّن كيف أن الخرق كان مفيدًا للغاية الرئيسة من الخطاب.

ولذلك مدح السكوني خطابه التداولي، فقال: «وكانت حُجته أبلغ من قتالهم بالسيف»[30].

لذا لا نبالغ إن قلنا إنَّ علماء العرب رصدوا القوانين التي تنشأ من خلالها الدلالات اللغوية وبخاصة (دلالة اللزوم)، فغدا اللزوم آلية منظِّمة وناظمة لغيرها من الضمنيات الدلالية، حتى غدا مفهوم اللزوم معيارًا لضبط مقبوليةِ شرعيةِ وعقليةِ المعاني، وفق شرعيةٍ مسيَّجةٍ بمقبوليةٍ لغويةٍ ونحويةٍ[31].

ولكن، هل حضر مبدأ التعاون في الخطاب التداولي للأنبياء؟ وهل قاموا بخرقه من أجل غرضٍ يقتضيه المقام؟ هذا ما سيتبين في المبحث التالي:

ثانيًا: الإطار العملي: حضور مبدأ التعاون في قصص الأنبياء

أفاد المبحث السابق أنَّ توافق أطراف الخطاب التداولي على مبدأ التعاون، سيُرتب مسؤوليتها التعاونية في مراعاة آداب وقواعد تعين على تحقيق الهدف منه، وقد يتم خرقه لمقامٍ اقتضته غايات مختلفة، وفي المطالب **الأربعة** الآتية نماذج تطبيقية حول ذلك من القصص القرآني.

1 - قصة سيدنا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 59-61].

تقدير الحوار:

أ - يا قوم، اعبدوا الله وحده؛ لأنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.

ب - إنا نراك في ضلال مبين.

ج - يا قوم، ليس بي ضلالة، ولكني رسول من رب العالمين.

بتأمُّل الحوار السابق سنلاحظ ما يلي:

– رغم أن الملأ قاموا بخطاب سلبي مع نوح وأتباعه – في (ب) – وكأنهم لا يريدون الاقتراب منهم مشمئزين نافرين، إلا أن نوحًا استمر في الخطاب الإيجابي المقبل عليهم بالتحبب – في (أ)، وفي (ج) – فناداهم بنداء يقربهم إليه،

29 - انظر: محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990)، ج 3، ص 358.

30 - عمر السكوني، **عيون المناظرات**، تحقيق: سعد غراب (تونس: منشورات الجامعة التونسية، 1976م)، ص 200.

31 - انظر: حسين السوداني، **أصول التفكير الدلالي عند العرب** (الرياض: دار وجوه، 2017)، ص 443.

لقد ناداهم في المرتين بقوله: «يا قوم»، وكأنه يريد أن يقول لهم: أنا وأنتم قوم واحد، فما يفيدكم يسعدني، وما يضركم يحزنني.

- قام نوح - في (ج) - بخرق ركن (الكم)؛ لأن قومه - في (ب) - قالوا: (إنا لنراك في ضلال) أي منغمس في ضلالات كثيرة تحيط بك من كل الظروف الزمانية والمكانية، بينما رد هو بـ (ليس بي ضلالة)واحدة تلصقونها بمسمعتي؛ وأتحداكم أن تذكروا دليلاً على ضلالة واحدة فعلتها طيلة مكثي معكم، قبل النبوة وبعدها.

فلو أجابهم بأني «لست في ضلال» لقام بنفي تصوُّر ضلالات كثيرة انغمس بها، ونفيُ الكثير لا يستلزم نفيَ القليل، بينما نفيُ القليل يستلزم نفيَ الكثير مِن باب أولى، ولفطنته قدَّم الدعوى ودليلها؛ لذا فردُّه يُعد «مِنْ أحسنِ الردِّ وأبلغه؛ لأنه نفى أن تلتبسَ به ضلالةٌ واحدة - فضلاً عن أن يحيطَ به الضلال -»[32].

كأن يقول لك قائل: ما أكبر شجرة التوت، من المؤكد أنَّ صاحبها باع منها ثمرًا كثيرًا في الصيف الماضي!

فترد: لم يكن بها ثمرة.

إنك بردّك قدمتَ الدعوى ودليلها: نفيُكَ بيع ثمر كثير منها في الصيف، بدليل عدم إثمارها ثمرة واحدة.

- قام نوح – في (ج) – بخرق ركني (الكم والأسلوب)، فقد زعموا – في (ب) – أمرًا واحدًا (أنه في ضلال)، لكنه رد **بأمرين** (نفيُ اتصافه بأيّ ضلالةٍ، وإثبات أنه رسولٌ من رب العالمين)، وفي التنويه بأنه رسول من رب العالمين إضافة مهمة يقتضيها المقام؛ «باعتبار ما يستلزِمه من كونه في أقصى مراتبِ الهداية؛ فإنَّ رسالةَ ربِّ العالمين تستلزِمه لا محالة، كأنه قال: ليس بي شيءٌ من الضلال، ولكني في الغاية القاصيةِ من الهداية»[33].

2 - قصة سيدنا هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 65-68].

تقدير الحوار بين هود والملأ:

أ - يا قوم اعبدوا الله الواحد واتقوه.

ب - إنا لنراك في سفاهة، وإنا لنظنك من الكاذبين.

ج - يا قوم ليس بي سفاهة، ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي، وأنا لكم ناصح أمين.

بتأمُّل الحوار السابق سنلاحظ ما يلي:

- المطلع على رد الملأ – في (ب) – يحسبه مخالفًا لركن (الأسلوب)؛ لأنه يخالف خطاب هود – في (أ)، لكن الرازي يرى أن خطاب هود – في (أ) – يفيد عدم جدوى عبادة الأوثان، مما يقتضي نسبة السفه وقلة العقل لمن يعبدها[34]، فكأنهم قدّروا فهمًا ظنوه حقًا لمقتضى الخطاب واستلزاماته الحوارية؛ فجاء ردهم عليه – في (ب) –

32 - أحمد السمين الحلبي، **الدر المصون**، تحقيق أحمد محمد الخراط (دمشق: دار القلم، 1995)، ج 5، ص 355.

33 - محمد أبو السعود، **إرشاد العقل السليم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1994)، ج 3، ص 236.

34 - انظر: محمد الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار الفكر، 1994م)، ج 14، ص 300.

موافقًا لما غلب عندهم الظن بأنه مقتضاه؛ فلم يُصرح هود بنسبة السفه إليهم، لكنهم – لفساد خلقهم – ظنوه قد خاطبهم بخطاب يستلزم نسبة السفه إليهم.

– لم يخرق هود – في (ج) – ركن (الكم) بلا فائدة يتطلبها موضوع الخطاب التداولي؛ فقد أجاب على شبهتهم بلوازم منطقية؛ فهو رسول، والرسول ناصح أمين لا يكذب، والدليل على صحة دعواه أنه عبَّر بجملة اسمية تدل على الثبات: «ناصح أمين» يعني: أنتم جربتم صدق نصيحتي وأمانتي قبل النبوة، وكنتم لا تكذِّبون أياً منها، فالذي صدقكم النصح والأمانة قبل النبوة، لن يغشكم بعدها35.

وبهذا نجد أن خرق مبدأ التعاون بلا غرض يفيد الخطاب التداولي – كالتشويش على المناظرة، والحيدة عن الحوار المنطقي – هو سبيل الضعفاء، كما نجد أدب خطاب هود التداولي بامتناعه عن مقابلة اتهامهم له بالسفاهة بمثله، واقتصاره على نفي دعواهم المفتقرة إلى دليل، ثم إعادة التركيز على التوحيد (موضوع الخطاب التداولي الأصلي).

3 - قصص سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

أولًا: في سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

تقدير الحوار بين إبراهيم والملِك:

أ - أنا ربي وحده هو الذي يحيي ويميت.
ب - أنا أيضًا أستطيع أن أحيي وأميت.
ج - ربي يُحرك الشمس من المشرق إلى المغرب، فقم بعكس اتجاه حركتها.
د - [بهت ولم يُجب].

بتأمُّل الحوار السابق سنلاحظ ما يلي:

– قدَّم الملك – في (ب) – دعوى بلا دليل لا يعترف بها إبراهيم، خارقًا ركن (الكيف)، لكن إبراهيم – في (ج) – لم ينتقد افتقار دعوى الملك للدليل، بل استغل دعواه استغلالًا ذكيًا؛ حين أظهر له وكأنه مُقرٌّ له في دعواه، التي تستلزم بأنه القادر الذي لا يعجزه شيء؛ فبما أنك قادر على الصعب (الإحياء والإماتة)، فسوف تقدِر على الأسهل (تغيير حركة جسم متحرك كالشمس)؛ ولذلك بهته فبُهت.

– في عدم استجابة الملك – في (د) – للتحدي – في (ج) – كما استجاب له سابقًا – في (ب) – خرق لركن (الأسلوب)؛ فالإجابة الصفرية إجابة غامضة ناقصة، لا تفيد الغاية الرئيسة من خطابه التداولي، بل تقتضي انقطاع الخصم، وبيان عجزه عن مقابلة الحجة بالحجة.

بإجمال: مَن يتدبر رد إبراهيم على الملك يرى بأنه تجاوز عن المغالطة المنطقية – في (ب) – بأنه يحيي ويميت، حيث إنه في الحقيقة لا يحيي، ولكنه يُبقي الحيَّ حيًا؛ مستخدمًا خطابًا لا يستثير الملك فيُحرِك فيه نوازع خطاب الكراهية؛ فيضرَّ بالرسالة وبحاملها، ولا يفيد هدف الحوار.

ثانيًا: في سورة الأنبياء: ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن

35 - انظر: إبراهيم البقاعي، **نظم الدرر** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1995)، ج 7، ص 430.

كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: 62-65].

تقدير الحوار بين إبراهيم وعبدة الأصنام:

أ - هل أنت الذي حطمت الأصنام يا إبراهيم؟

ب - بل الصنم الكبير هو الذي حطمها، بدليل حضور شهود [الأصنام الصغيرة]، فاسألوهم واستنطقوهم.

ج - [تفكَّروا ثم تناقشوا]: لقد ظلمنا أنفسنا بعبادة آلهة لا تسمع ما نطلب، ولا تخبرنا بما تطلب [فضلًا عن دفاعها عن نفسها].

بتأمُّل الحوار السابق سنلاحظ ما يلي:

- خرق إبراهيم – في (ب) – ركن (الكيف)؛ لأنه لم يخبرهم بحقيقة فاعل تحطيم الأصنام بهدف إقامة الحجة عليهم بلسانهم هم، بدليل أنهم – في (ج) – قد اعترفوا بأن آلهتهم لا مزية لها على أي مخلوق يسمع ويبصر، وكأنه يريد أنْ ينتزعَ منهم الإقرار بأن أيَّ صنم – كبيرًا كان أم صغيرًا – لا يفعل شيئًا، ثم يواجههم: فلماذا تعبدونهم؟ لذا فيمكن حمل قَوْل إبراهيم:(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا) على أنه توبيخ وتبكيت لقومه؛ حيث رَدَّ الأمر إلى مَنْ لا يستطيعه ولا يتأتّى منه؛ بدليل تصريحه بالغاية من خطابه: (فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ)، لكنهم لم يسألوهم؛ لأنهم يعرفون الحقيقة[36].

- كما يُفهَم من قول إبراهيم – في (ب) – معنى الشرط إذا قدّرنا التقديم والتأخير، وكأن إسناد فعل التحطيم إلى الصنم الكبير مشروط بنطق الأصنام الصغيرة37، وإبراهيم – على هذا التقدير – لم يخرق مبدأ التعاون؛ «فعلَّق فِعلَ الكبير بنطق الآخرين، تنبيهاً لهم على فساد اعتقادهم، كأنه قال: بل هو الفاعل إن نَطَقَ هؤلاء... ليقولوا [أي: قومه] إنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون، فيقول لهم فلِمَ تعبدونهم؟ فتقوم عليهم الحجة منهم»[38].

وهذا الحِجاج بلغ الذروة في الإقناع والحث على التفكير، وإلزام الخصم بأن يجعله هو يُقرّ بالحق على نفسه.

ثالثًا: في سورة الشعراء: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: 69-82].

تقدير الحوار بين إبراهيم و أبيه في وجود قومه:

أ - ماذا تعبد يا أبتِ أنت وقومي؟

ب - نعبد أصنامًا فنظل لها عاكفين.

36 - انظر: محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي** (القاهرة: دار أخبار اليوم، 1991)، ج 15، ص 9582.

37 - انظر: محمد القوجي، **حاشية محيي الدين شيخ زاده** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1991)، ج 6، ص 44.

38 - محمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (القاهرة: دار الحديث، 1994)، ج 11، ص 300.

ج - هل يسمعونكم حين تدعونهم – أو تدعون غيرهم؟
وهل ينفعونكم أو يضرّونكم – أو يضرّون عدوكم؟
د - بل وجدنا آباءنا يعبدونها فقلدناهم.
هـ - كل ما تعبدونَ أعداءً لي ليسوا معبودين، لكنَّ رب العالمين هو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى فأعبدُهُ لستُ أعاديه؛ فهو ينفرد بصفات تقتضي ألوهيته، صفات لا تتصف بها معبوداتكم، وإن اجتمعت وتعاضدت.

بتأمُّل الحوار السابق نلاحظ ما يلي:

- خرقَ إبراهيم – في (أ) – ركن (الكيف)، فقد كان يرى الأصنام، ونشأ في بيت مَن كان يصنعها ويبيعها، ومع ذلك سألهم عنها، وهذا يستلزم حَمْل السؤال على أغراضٍ غير الاستخبار: كالإنكار والتحقير والاستعجاب.
- خرقَ قومه لركن (الكم)، فإبراهيم – في (أ) – سألهم سؤالًا واحدًا، ولكنهم –في (ب)– أجابوه بإجابتين: تعيينهم ما يعبدون: الأصنام، ثم افتخارهم بالانتساب لها وبتعلُّقهم بها (فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ)[39]، وهذا خرقٌ بقصدِ التشغيب، لا فائدة له في موضوع الخطاب التداولي، ولا يدل على صدق دعوى استحقاقها للعبادة.
- خرقَ قومه – في (ج) – لركني (الكم والنوع)؛ فإبراهيم سألهم أسئلة متنوعة، ولكنهم لم يجيبوا إلا إجابة واحدة – في (د) –، وحتى إجابتهم الوحيدة بعيدة عن موضوع السؤال، فخرقت ركن (النوع)، ويُستلزم من عدم إجابتهم عن ذاك السؤال، وحَيدتهم عن الموضوع الأصلي، اعترافهم بأن آلهتهم لا تستحق العبادة، فهي لا تفعل أيسرَ الأفعال، فمِن باب أولى لا تقوم بما يقوم به الإله المعبود بحقٍّ: الخلقُ والعنايةُ بالمخلوق.
- باستثناء إبراهيم – في (هـ) – عداوةَ رب العالمين – جل جلاله – استلزامٌ بأنه يعبده وحده سبحانه وتعالى، بمعنى: «كل آلهةٍ لكم فلا أعبدها إلا ربَّ العالمين فإني أعبده، ونصبه بالاستثناء [رَبَّ]، كأنه قال: هم عدوٌّ – غير معبود – إلا ربَّ العالمين فإني أعبده»40، فإلهي رب العالمين (معبودٌ ليس عدواً لي)، مما يستلزم أنَّ أيَّ إله من آلهتكم (عدوٌّ ليس معبودًا لي)، وهو بذلك يعود بهم إلى التوحيد: الغاية الرئيسة مِن خطابه التداولي معهم.

4 - قصص سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في سورة يوسف:

أولًا: قال تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: 12-13].

تقدير الحوار بين يعقوب و أبنائه:

أ - يا أبانا أرسل معنا يوسف ليتفكَّه ويلعب، ونعدك بأننا سنحافظ عليه.
ب - أنا أحزن لفراقه، وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون.

بعد تأمل الحوار السابق من الممكن ملاحظة أن يعقوب – في (ب) – خرق ركن (الكيف)، بإعلانه عن سبب غير حقيقي لخوفه على يوسف [من الذئب]؛ فهو يخاف على يوسف منهم.

وهذا الخرق له ما يبرره؛ فقد خاطبهم بتذكيرهم بفطرتهم التي تقتضي الشفقة على أخيهم الصغير الضعيف، وبتنبيههم بعدم تسببهم في إلحاق أي أذىً بيوسف لغفلتهم، سيكون التنبيه بعدم إلحاقهم – هم – الأذى به من باب أولى[41]، إنَّ الغاية

39 - انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 24، ص 142.
40 - يحيى الفراء، **معاني القرآن** (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط 1)، ج 2، ص 281.
41 - انظر: أحمد خلف الله، **يوسف بن يعقوب** (القاهرة: مطبعة السعادة، 1978م)، ص 56.

الرئيسة من الخطاب التداولي بين يعقوب وأبنائه: تنبيههم إلى ضرورة العناية الشديدة بالحفاظ على يوسف، فجاء الخرق خادمًا لتلك الغاية.

ثانيًا: قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف: 36-41].

تقدير الحوار بين يوسف وصاحبيه في السجن:

أ - يا أيها المحسن لقد رأى كل واحد منا رؤيا ففسّرها لنا: لقد رأى أحدنا أنه يعصر صنفًا من العنب خُصِّصَ لصناعة الخمور، ورأى الآخر أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه.

ب - أنا عندي علم بالغيب الحاضر، وذلك العلم علم إلهي من ربي الذي دعاني لأهمل آلهة القوم، وأن أعبده وحده؛ وأنا مقتدٍ في عبادة هذا الإله بأجدادي الأنبياء الذين كانوا على ملّة واحدة، فما رأيكم أن تقتدوا بهم – مثلي – فنعبد الإله الذي يستحق العبادة وحده... أما بالنسبة لتأويل الرؤيا: فأحدكما سيسقي سيده خمرًا، والآخر سيتم صلبه.

بعد تأمل الحوار السابق من الممكن ملاحظة أن يوسف – في (ب) – خرق ركن (الأسلوب) حيث لم يجب صاحبيه عن سؤالهما مباشرة، بل استغل حاجتهما وتلهفهما للإجابة بإنصات شديد فحثهما على التوحيد؛ رأفةً ورحمة بهما؛ لأن نجاتهما من الخلود في النار الأخروية أولى من تأويل أحلامٍ لا يُغيّر تأويلها من مجريات الأقدار، فمهما كانت أولوياتهما الدنيوية ملحة، فأولوية اتّباع الملة الحق أولى الأولويات، وغاية الغايات... وبهذا بلغ معهم الذروة في الخطاب التداولي المثمر، باستخدام أسلوب الحكيم.

ثالثًا: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: 64-66].

تقدير الحوار بين يعقوب و أبنائه:

أ - لا أرضى لأخيكم أن يذهب معكم؛ فقد جربتكم قديمًا وقصَّرتم في حماية شقيقه مِن قَبل [يوسف].

ب - يا أبانا، يجب أن نسافر إلى مصر؛ لنعيد البضاعة التي وجدناها في رحالنا[42]، ولسماحك بخروج أخينا معنا فوائد

42 - أرادوا إعادة بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم بعد عودتهم إلى بلدهم مِن رحلتهم الأولى؛ لأنَّ ردَّ المصريين البضاعة قد يعني أنَّ الميرة كانت صدقةً تصدَّق بها عليهم حكام مصر، والصدقة محرمة على الأنبياء وموالهم - من ذرية وخدم، فلا يستطيع آل يعقوب الاستفادة منها. بدليل حديث: «إِنَّا لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ، وَإِنَّ مَوَالِيَ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ». رواه ابن خزيمة في صحيحه (2344). وهذا حكم عام في كل الأنبياء وموالهم؛ لتشريفهم؛ فالصدقات تقتضي ذلّ الآخذ، وعزّ المأخوذ منه. انظر: أحمد الرملي، **فتاوى الرملي** (القاهرة: المكتبة الإسلامية، 1938)، ج 2، ص 53.

ثلاث: دخول مصر لشراء ميرة 43 سنةٍ قادمة، وإثباتنا لك بأننا نستطيع حِفظَ أخينا، وزيادة الميرة بحملِ بعيرِ أخينا.

ج - لن أرسله معكم قبل أن تعاهدوني عهدًا تشهِدون الله عليه بالفائدة الثانية [حفظ الأخ الأصغر].

بتأمُّل الحوار السابق سنلاحظ ما يلي:

- أخبر يعقوب – في (أ) – أبناءه بالسبب الوحيد لعدم رضاه عن مرافقة الأخ الأصغر لهم في سفرهم إلى مصر، وهو الخشية عليه من إهمالِهم لحفظه، كما فعلوا بيوسف قديمًا، ولكنهم – في (ب) – قاموا بخرق ركن (الكم) حين دفعوا بالفوائد الثلاث.
- رغم معرفة الإخوة بمكانة الأخ الأصغر عند أبيهم، إلا أنهم جعلوا لإثباتهم عمليًا القدرةَ على تحمُّل مسؤولية حفظِ أخيهم أولوية ثانية، وعلَّل ابن عاشور سرَّ هذا الترتيب بأنَّ: «جملة (وَنَمِيرُ أَهْلَنَا) معطوفة على جملة (هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا)؛ لأنها في قوة: «هذا ثمن ما نحتاجه من الميرة صار إلينا، ونمير به أهلنا»، أي نأتيهم بالميرة... وجملة» وَنَحْفَظُ أَخَانَا «معطوفة على جملة «وَنَمِيرُ أَهْلَنَا»؛ لأن المير يقتضي ارتحالاً للجلب – وكانوا سألوا أباهم أن يكون أخوهم رفيقًا لهم في الارتحال المذكور، فكانت المناسبة بين جملة (وَنَمِيرُ أَهْلَنَا) وجملة ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا) بهذا الاعتبار، فذكروا ذلك تطمينًا لخاطرٍ فيهم. وجملة (وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) زيادة في إظهار حرصهم على سلامة أخيهم؛ لأن في سلامته فائدة لهم بازدياد كيل بعير... وهذه الجمل مرتبة ترتيبًا بديعًا؛ لأنّ بعضها متولّد عن بعض»[44].

وهذا تعليل جميلٌ مِن ابن عاشور، لكنه ذهل عن السبب الرئيس لأخذهم الأخ الأصغر معهم، وهو اشتراط حُكّام مصر أنْ يُحضروه معهم في أي رحلةٍ تالية، وإلا فلن يستطيعوا دخول مصر أبدًا؛ لمقايضة بضاعتهم بالميرة[45].

- لم يلتفت يعقوب – في (ج) – إلى فائدتي: شراء ميرة سنة قادمة، وزيادة كيل بعير إضافي، خارقًا ركن (الكم)، مركزًا على خشيته من إهمالهم الذي قد يتسبب بفقدان الأخ الأصغر.
- تلاعب إخوة يوسف بترتيب الأولويات، جاعلين للحفاظ على الأخ الأصغر قوة الأولوية أقلّ من الميرة، وأعلى من زيادة كيل بعير؛ لهدف شكلي، وهو: إشعار يعقوب بأنَّ مصلحة الحفاظ على سلامة أخيهم مصلحة ذاتية لهم أيضًا، فجعلوها مُحاطة بين قوتين: قوة الحاجة لميرة سنة قادمة، وقوة طلب زيادة كيل بعير.
- وقد فطن يعقوب لمقصدهم فأعاد في (ج) بؤرة الاهتمام وقوة الأولوية للإخوة، بأنها يجب أنْ تركِّز على حماية أخيهم؛ فباقي الفوائد – دونه – ثانوية.
- يُلاحَظ في (ب) قولهم: (وَنَحْفَظُ أَخَانَا)، مستخدمين صيغةً ذكَّروا فيها والدهم بأن علاقتهم مع الأخ الأصغر علاقة أخوَّة تامَّة، تقتضي الحفاظ عليه، فهو واحد منهم، لا فرق بينه وبين غيره، لكنّهم عدلوا عن تلك الصيغة بصيغة أخرى بعد اتهامه بسرقة صواع الملك: ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: 81]؛ لبيان أن قوَّة علاقة الأخوَّة بينه وبينهم أضعف من قوة علاقة البُنوَّة بينه وبين أبيه؛ فأمهم مختلفة عن أم يوسف وأخيه.
- كأن علّة تغيير صيغة الخطاب بإرادتهم التعبير بأننا نعلم بقوة علاقتكما، تلك العلاقة التي تفوق مقام أخوُّتنا له، بخطاب يقتضي تبرؤهم من التقصير معه؛ فهو الذي أساء إليك وصنع ما يشين حسن تربيتك له، بسرقة

43 - الميرة: الطعام المجلوب، والمائر: الآتي به. انظر: محمد الشوكاني، **فتح القدير** (دمشق: دار ابن كثير، ط2، 1994م)، ج 3، ص 47.

44 - محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، ج 13، ص 18.

45 - جاء في سورة يوسف: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٥٩ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾ [يوسف: 59-60].

الصواع، تلك السرقة التي جزاؤها أن يُسترقَّ السارق زمنًا مُقدَّرًا بمقدار سرقته[46].

مختصر تقدير خطابهم الثاني ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: 81] فقدُنا له ليس لنقضنا العهد بحفظ أخينا، لكن لتقصيرك في تربيته، ولخوفك على ابنك المدلّل من السفر والاحتكاك بالناس؛ فنحن لم نكن نعرف تلك الخصلة الذميمة فيه؛ فالسفر يُسفر عن أخلاق الناس ويكشف معادنهم ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: 81].

وبعد تلك الجولة في تطبيقات بعض القصص القرآني لمبدأ التعاون وخرقه أحيانًا، يُلحَظ استخدام الأنبياء وسيلة مبدأ التعاون عند خطابهم التداولي، لكنها لم تكن الوسيلة الوحيدة المستخدمة لديهم، فالحثّ على التزام مبدأ التعاون لا يعني منع الداعية مِن حسم الجدل غير النافع بتعبيرات شديدة؛ لتقرع أذن طرف حوار يستحقه؛ فيتنبه بأنَّ مراعاة وسيلة مبدأ التعاون ليست بسبب الضعف؛ ولكنّها مجرد وسيلة من وسائل متعددة لخدمة الغاية من الخطاب، والوسائل تختلف باختلاف المقام، فتأمَّل إظهار إبراهيم – عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ – تضجره من قومه تحقيراً لهم: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: 67]، وتهديد شعيب – عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ – لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ [هود: 93]، وقول موسى – عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ – لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء: 102]؛ فـ«لم يَفُتْ موسى – عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ – وقد ثبتتْ قدمه، وأرسى قواعد دعوته أمام الجميع، أنْ يُكلِّم فرعونَ مِن مُنطلق القوة، وأن يُجابهه واحدة بواحدة، فيقول: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ فقد سبق أنْ قال فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء: 101] فواحدةً بواحدةٍ، والبادي أظلم»[47].

من هنا نستنتج أن الخطاب التداولي الملتزم بمبدأ التعاون يُعد وسيلة من الوسائل التخاطبية، وليس هدفًا مقصودًا لذاته، فإذا لم يكن هناك حوارٌ أصلاً – أو رفض الطرف الآخر استمرار حوار قائم – فلن يكون هنالك أي مسوغ للحثّ على التزام وسيلة مبدأ التعاون؛ فإذا سقط الأصل سقط الفرع.

ثالثًا: مشروعية التفاعل بين الثقافة الإسلامية واللسانيات المعاصرة

تبيَّن من خلال تأمُّل ما ورد فيما سبق عرضه – في المبحثين السابقين – مكانة مبدأ التعاون، بصفته وسيلة من الممكن أن يُعين الاتفاق عليها أطراف الخطاب التداولي المختلفين ثقافيًا، على وضع أسس توافقية ناظمة لقواعد خطاب تداولي مثمر، كما تبيَّن أن الحكمة قد تقتضي خرق مبدأ التعاون؛ فإن كان التزام الداعية بأركان مبدأ التعاون مدروسًا مخططًا له، فينبغي أن يكون خرقه لها كذلك؛ لتتنوع الوسائل وتتكامل حتى تسهم جميعًا في تحقيق الداعية لهدفه الرئيس، بتبليغ الدعوة لمختلف أصناف المدعوين، لذا فمن المفيد أن يحرص الشرعيون – بالتعاون مع خبراء علم التربية والاجتماع والإعلام وغيرهم – التماسَ ذلك في تنشئة جيل يراعيها ويتبعها عند خطابه التداولي مع المخالف.

من هنا تظهر فائدة استثمار مخرجات التفاعل التكاملي بين: اللسانيات، والعلوم الإنسانية والاجتماعية، كالعلاقة بين اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistics)، ومهارات التواصل (Communications Skills) في ضوء روح مبدأ التعاون؛ من أجل الحد من مشكلات تواصل قد ينتج عنها خطاب كراهية ناشئ عن سوء فهم، اقتضاه تباعد المكان، وتباين الثقافة.

فمثلًا: تواصلَ المسلم (مصطفى) مع غربيٍّ، وبعد زمنٍ قال الغربيّ لـ (مصطفى): أنا أحبك، لدرجة أنَّ كلبتي وضعت مجموعة من الجراء، فأطلقت على أحدها اسم (مصطفى)؛ تقديرًا لك!

46 - قال تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف: 59-60]. وكانت شريعة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، أنَّ السارق يُدفع إلى المسروق منه. انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 4، ص 344.

47 - الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج 14، ص 8783.

هنا ينبغي أن يستوعب (مصطفى) مكانة الكلب في ثقافة صديقه الغربيّ، وكذلك على الغربيّ تفهُّم سبب رد الفعل السلبيّ لمصطفى، وتضجُّره وعدم امتنانه على صنيعه.

لذا فإن غرايس كان كثيرًا ما يسلّط الضوء على، احتمال استخدام عبارات في كلام طبيعي تؤدي إلى سوء الفهم، فدراسة الخطاب تتطلب إدراك الأشكال اللغوية: (كالصوت، والكلمة، والجملة)، والإحاطة بدلالتها ضمن سياق يحدد مقدار قيمة صدقها بمطابقته بالواقع. حيث إن التفسير المبني على إدراك السياق سيُعين المتخاطبين على فهم أعمق، بخاصة عندما تُصادفنا مواقف يكون فيها سوء فهم بين ما يُقال ومقاصده؛ لذا يؤكد أهمية أن يكون هناك «لغة مثالية» يكون فيه التواصل بين العلماء دقيقًا[48].

تأمَّل – مثلاً – اختلاف التعبير بالشكر بين اليابانية والإنجليزية: فشكرُ شخصٍ بالإنجليزية يعني التعبير بالشعور بشيء جيد تجاهه؛ لشيء جيد فعله، ونريده أن يشعر بالرضا في المقابل، ولكن في الثقافة اليابانية فإنّ هذا الوضع مختلف؛ فعندما ينطق اليابانيون المتكلمون بالإنجليزية كلمة: «آسف» فإنهم يقصدون: «شكرًا لك»، مما يؤدي إلى تفسير مختلف تمامًا لما يقصدونه؛ فعند اليابانيين: الاعتذارُ يشكِّل طريقةً للتعبير عن «الدَّين» (الامتنان) وشكر شخصٍ ما، لما قدمه من «دَين»[49].

وقد يقول قائل: ألا نجد في موضوعات ثقافتنا الإسلامية غُنية عمَّا جاءت به نظريات لسانية معاصرة، تنطلق من ثقافة مختلفة؟ وجوابه: بأنَّ الثقافة الإسلامية تؤثر في الثقافات الأخرى وتتأثر بها، فلا يعيب أي ثقافة أن تتكامل مع ثقافاتٍ، وعلوم طبيعية، وإنسانية أخرى، في الإمداد والاستمداد، نعم لا يضرّ ذاك ثقافتنا الإسلامية، إن قلنا بأنها تتكامل مع غيرها تكاملَ كمالٍ وتحسينٍ، لا تكامل احتياج إثباتٍ وصحة، عبر أدوات تخاطبية معاصرة، يمكن استثمارها للتعريف بجماليات ثقافتنا، وتقريب ما فيها من موضوعات وقضايا تثير تساؤلاتهم واستشكالاتهم، وكأننا نترجم روائع حضارتنا بلغة تخصصية، تخاطب فئة نخبوية لها اهتماماتها اللسانية، ولها جمهورها المتأثر بها، المتتبع لأنشطتها، فئة لم تكن مستهدفة سابقًا من الدعاة.

كما أنَّ في توظيف المعارف المشروعة المستمدة من النظريات اللسانية المعاصرة تنويع لمجالات ثقافة الداعية، وتوسيع لمدارك تفكيره، مما سيعينه على النماء الفكري؛ فينعكس تحسينًا لعالمية التواصل وشموليته.

لا خوف من تكاملنا المعرفي مع ثقافات شعوب، تباينت بيننا وبينهم زوايا النظر للكون والحياة، ولنا في رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خير قدوة، فهو لم يمنع الصحابة الكرام مِن التكامل الحضاري، مع المشروع مِن معارف ثقافية لأممٍ مخالفة في العقيدة؛ فقد كان يلبس مِن ملابسهم[50]، ويستخدم مِن وسائل تراتيبهم الإداريّة[51]، وينوِّه ببعض عاداتهم الاجتماعيّة[52]، ويسمح بالتداوي عندهم[53].

لذا فقد آن الأوان لكثير من المثقفين العاملين في العلوم الشرعية والمنظِّرين لها، أن لا يكتفوا بنقدٍ خارجي للِّسانيات

48 - Paul Grice, *Logic and conversation* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1975), p. 42.

49 - Mariko Kotani, "*Expressing Gratitude and Indebtedness: Japanese Speakers' Use of "I'm Sorry" in English Conversation*", Research on Language and Social Interaction, vol. 35, no. 1 (2010), pp. 39-72.

50 - ورد في مسلم (859) أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لبس ملابس فارسية، وفي الترمذي (1771) والنسائي (125) أنه لبس جبّة روميّة.

51 - كاتخاذ الخاتم لختم الرسائل الرسمية، فقد روى البخاري (2938): «لَمَّا أَرَادَ النبيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ، قيلَ له: إِنَّهُمْ لا يَقْرَؤُونَ كِتَابًا إِلاَّ أَنْ يَكونَ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِن فِضَّةٍ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ، ونَقَشَ فيه مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ».

52 - ومنها جواز الغيلة: أي جماع المرأة المرضع. فقد روى مسلم (573) مرفوعًا: «قَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ، حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلاَ يَضُرُّ أَوْلاَدَهُمْ».

53 - أمر رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سعدَ بن أبي وقاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن يتعالج عند الطبيب المشرك الحارث بن كلدة. انظر: أحمد بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، ج 1، ص 687.

المعاصرة، بل يدخلوا فيها ويسبروا غورها؛ لتمحيصها وفرزها، مع التنبيه إلى هيمنة قطعيّات الوحي على كل المصادر المعرفية؛ فالوحي هو معيارُ الُحكم والضَّبط، الذي لا يرضى بغيره المسلم بديلًا.

إنَّ المثقف المثالي يأخذ مِن كل علمٍ بطرف، يعرف شيئًا عن كل شيء، ويوظف كل معرفةٍ مشروعةٍ لخدمة هدفه. لنتأمل وصية يحيى بن خالد البرمكي لابنه جعفر، قال: «عليك بكل نوع من العلم فخذ منه؛ فإنّ المرء عدو ما جهل، وأنا أكره أن تكون عدوَّ شيء من العلم، وأنشد:

تفنَّنْ وخذ من كل علم فإنما ... يفوق امرؤ في كل فن له علم
فأنت عدو للذي أنت جاهل ... به ولعلم أنت تتقنه سلم[54]

كما أوصاه قائلًا: «لا تردّ على أحد جوابًا حتى تفهم كلامه؛ فإنّ ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك، ولكن أفهم عنه، فإذا فهمته فأجبه، ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا تستحيي أن تستفهم إذا لم تفهم؛ فإنّ الجواب قبل الفهم حمق، وإذا جهلت فاسأل فيبدو لك، واستفهامك أجمل بك، وخيرٌ من السكوت على العيّ»[55].

فإن سأل سائل: بما أن العرب سبقوا بالتعريف بمعانٍ، تدندن حول أبرز معالم مبدأ التعاون وأركانه وتعليل خرقه، ووضعوا مصطلحاتٍ ارتضوها لتعبّر عن كل ذلك، ثم استعملوها في كتبهم التأصيلية، وفي تفاسيرهم وشروحاتهم، ونقدهم للنثر والشعر، فلماذا نحيد عن تلك المصطلحات إلى غيرها؟

فالجواب: ليس من العدل أن يُذمَّ الداعي للاستفادة مما يستجد من دراسات إنسانية – كالنظريات اللسانية – بدعوى عدم وجودها بأسمائها الاصطلاحية في ثقافتنا، فكثير من القضايا تكون معروفة ذهنيًا في سليقة المشتغلين بعلمٍ ما، لكن مع تطور ذاك العلم احتاجوا لتقسيمه[56]، فتُوضع لأجلها اصطلاحات جديدة – قد تكون منحوتة من لغة أجنبية – تندرج تحتها التقسيمات. فاللفظ لا إشكال في إطلاقه؛ لأنه خادمٌ لحقيقة معناه، ليس بحاكمٍ عليه، والذي يُعنينا بالنظر: مشروعية حقيقة معناه، فما كان منه حقًّا ثبتت مشروعيته يُقبَل، وما كان فاسدًا يُرَدُّ؛ فالعبرة بصحة المعنى ومشروعية الفكرة، لا بشكلِ قالبٍ لفظي – غير منهيٍّ عنه شرعًا، وثبتت أصالة جذره في اللغة، وارتضته تراكيبها وصِيَغها الصرفية، وبرزت دقة دلالته المعنوية بلا غموض، فإذا ارتضى مختصُّون اصطلاحًا معيَّنًا، وظهَرَ المرادُ منه وتحدَّد، فلا ضيرَ من التوصية باعتماده، ثم تُرفع التوصية إلى مجامع اللغة العربية لتُعتمدَ دلالتها، فتُثبَّت في المعاجم المعاصرة، حينئذٍ يُقرُّ استعمالُها في إصدارات المؤسسات التعليمية والإعلامية.

كما أنَّه مِن الحكمة أنْ يحرص الداعية في خطابه التداولي على توظيف الخطاب للوصول إلى غايته، وأن يسلك سبيل كل وسيلة مشروعة لتحقيقه، فلا يخسر فرصة تحقيق غاية خطابه التداولي، من أجل التمسك بقضايا شكلية متعلقة بمجرد ألفاظ اصطلاحيّة، ولنتذكَّر بأنَّ العمل الدعوي لا يُصنَّف ضمن العبادات المحضة (كالصلاة والصوم...)؛ لذا فالشأن فيه سهل، والتبليغ لا يتقيَّد بكيفيةٍ معلومة؛ لأنه مِن قبيل المعقول المعنى، فيصحُّ بأي شيءٍ أمكن[57].

وقد استخدم الرسول الكريم كلماتٍ أعجمية دخيلة ليس لها جذر عربي فصيح، كقوله: «إنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُوْرًا»[58]،

54 - علي الماوردي، **أدب الدنيا والدين** (القاهرة: دار مكتبة الحياة، 1986م)، ص 41.

55 - يوسف بن عبدالبر، **جامع بيان العلم وفضله** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1977)، ج 1، ص 148.

56 - مثل النسخ، فلم يُفرق المتقدمون بين النسخ وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتفصيل المجمل، وبيان المبهم؛ لكن بعد توسع علم أصول الفقه تمايزت التقسيمات، قال ابن القيم: «ومراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ: رفع الحكم بجملته تارة، وهو اصطلاح المتأخرين. ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة، إما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد وتفسيره وتبيينه، حتى إنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخاً؛ لتضمُّن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد». انظر: محمد ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1991م)، ج 1، ص 35.

57 - انظر: إبراهيم الشاطبي، **الاعتصام** (الرياض: دار ابن عفان، ط 1، 1992م)، ج 1، ص 317.

58 -رواه البخاري (3070).

والسُّوْر هو الطعام الذي يُدعى إليه، كما قال: «سَنَهْ سَنَهْ»[59]، بمعنى: ملابس حسنة حسنة، وقال: «كَخ، كَخ»[60]، وهي جملة تقال للصبي لردعه عن تناول ما يُستقذر، وقال ابن حجر تعليقًا على الأحاديث الثلاثة بعد شرحه لمعناها – معللًا استخدامه تلك الكلمات –: «هو كمخاطبة العجمي بما يفهمه من لغته»[61]، بل عدَّ المناوي تلك الأحاديث دليلًا على أن مخاطبة الذين يعرفون مصطلحات دخيلة بتلك المصطلحات – التي يفهمونها – مندوب، قال: «وأُخِذَ منه ندبُ مخاطبة نحو العجمي بما يفهمه من لغته»[62]، وقوله حقٌّ فللوسائل أحكام المقاصد؛ فالمقاصد الواجبة وسائلها واجبة، والمستحبة وسائلها مستحبة – بشروط، والحكمة ضالة المؤمن، لا يضره الاسم المستحدث للوسيلة؛ فالعبرة للمسمى.

لكن لا يُفهم من ذلك أنَّ الباحث يدعو للتساهل في استخدام الدخيل من المصطلحات؛ فإنَّ العربية شعار الإسلام واللغة التي اختارها الحكيم الخبير للقرآن، لن نرضى عنها بديلًا، لكن الأمر إذا ضاق اتسعَ، وإذا اتسعَ ضاق[63].

لنتأمل ما سطَّره النورسي، وهو يتحدث عن اتساع الدلالة المعرفية المستنبطة من القرآن الكريم؛ لتشمل معارف مستجدة – بضوابط، قال: «قد يكون الكلّ حقًا بالنسبة إلى سامعٍ فسامعٍ؛ إذ القرآن ما نزل لأهل عصرٍ فقط، بل لأهل جميع الأعصار، ولا لطبقة فقط؛ بل لجميع طبقات الإنسان، ولا لصنف فقط بل لجميع أصناف البشر، ولكلٍّ فيه حصة ونصيب من الفهم.

فلأجل هذا السرّ والحكمة أكْثَرَ القرآنُ من حذف الخاص للتَّعميم؛ ليقدِّر كلٌّ مقتضى ذوقه واستحسانه، ولقد نظم القرآن جُمَله ووضعها في مكان ينفتح من جهاته وجوه محتملة؛ لمراعاة الأفهام المختلفة ليأخذ كلُّ فهمٍ حصته. وقس! فإذًا يجوز أن تكون الوجوه بتمامها مرادة، بشرط ألَّا تردها علوم العربية، وبشرط أن تستحسنها البلاغة، وبشرط أن يقبلها علم أصول مقاصد الشريعة»[64].

خلاصة ما سبق:

يلحظ المتأمل لأسلوب القرآن الكريم في التعبير والخطاب، مرونة دلالية تعين الباحث على استنباطات متجددة لا تنضب لهداياته؛ لذا لا ينبغي لمتأملٍ أن يُميت نصوص القرآن الكريم بين يديه: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: 20]، فالنص القرآني المعجز تزيدنا المعرفة ببصائره نورًا على نور؛ والمعارف والهدايات المستنبطة منه متجددة لا تَخلق على كثرة الردِّ؛ لأن «العلوم منحة إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مُستبعَد أن يُدَّخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين»[65]، مصداقًا للوعد الإلهي الخالد ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: 87-88].

لذا فإنَّ الاستفادة المشروعة مما صحَّ من نتاجات ثقافة الشعوب الأخرى، سيُعين على التكامل المعرفي معها؛ والخطوة المثالية في أيِّ تعارف إنساني تكون بالتوافق على كلمةٍ سواءٍ، يستفيد كلٌّ من طاقات ثقافة غيره، بالإضافة إلى ما يثريه التكامل المعرفي للفرد مِن تنويعٍ يقيه من التعصب لرأيه، مما سيسهم في تجفيف منابع خطاب الكراهية داخل المجتمع، فمَن اتسعَ عِلمه، قلَّ اعتراضه.

---

59 - المرجع السابق (3071).

60 - المرجع السابق (3072).

61 - أحمد ابن حجر، **فتح الباري** (بيروت: دار الفكر، ط1، 1993م)، ج 6، ص 185.

62 - محمد المناوي، **فيض القدير** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2001م)، ج 4، ص 718.

63 - هذه قاعدة فقهية معناها: إذا حصلت مشقة (ضِيق) عند القيام بالأمر الواجب، فيجب إيجاد رخصة لإزالة المشقة، فإذا زالت يرجع الأمر إلى حاله الأول، وهو القيام بالأمر كما أوجب الله تعالى. انظر تفصيل القاعدة والأمثلة عليها: عبدالكريم زيدان، **الوجيز في شرح القواعد الفقهية** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م)، ص 171.

64 - بديع الزمان سعيد النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، تحقيق: إحسان الصالحي (إستانبول: دار سوزلر، 1994م)، ص 49.

65 - بهاء الدين بن عقيل، **المساعد على تسهيل الفوائد** (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1981)، ج 1، ص 3.

خاتمة

في ختام هذا البحث من الممكن استخلاص النتائج والتوصيات الآتية:

النتائج

1 - الخطاب التداولي ينبغي أن يكون منضبطًا بمبادئ متوافَق عليها بين أطرافه، ويشكل مبدأ التعاون أرضية يمكن التوافق عليها عند اختلاف القيم الأخلاقية بين أطراف الخطاب التداولي.

2 - حرِص الأنبياء على أجود خطاب تداولي، وذلك يظهر في حضور مبدأ التعاون في أغلب خطابهم التداولي، وما كان خرقهم للمبدأ إلا لهدفٍ اقتضاه المقام، وإفادة الغاية الرئيسة للخطاب.

3 - سبق علماء المسلمين في التعريف ببعض أغراض خرق مبدأ التعاون بحسب معطيات عصرهم، وبما عرفوه من علوم اللغة ومناهجها، وعبّروا عنها بمصطلحات خاصة كأسلوب الحكيم، وتجاهل العارف، وسَوق المعلوم مساق غيره.

4 - العلم باللغة يُعَد أبرز علوم الآلة التي تؤهل لتفسير القرآن الكريم، ولا ضير من تكامل المعرفة المستجدة بقضايا اللغة مع الآخرين، ثم استثمارها لخدمة تدبر القرآن – بشرط عدم مخالفة التفسير بالمأثور وأصول الإسلام العامة والسياق، ولا ضير من التعبير عن تقسيماتها المستجدة بتعبيرات اصطلاحية معاصرة، تقرها مجامع اللغة العربية، تحمل دلالات لم تحملها الاصطلاحات المتقدمة.

5 - مِن الحكمة تنويع وسائل الخطاب التداولي، وعدم حصرها في وسيلة واحدة، كمبدأ التعاون فقط؛ فما الوسيلة التخاطبية إلا أداة من مجموعة أدوات تخدم المخاطِب في سيره نحو غاية خطابه.

التوصيات

1 - أوصي الباحثين أن يستفيدوا من المساحة اللغوية، التي توفرها الدراسات اللسانية الحديثة، فتبرز جماليات النصوص الشرعية من زوايا جديدة، يستثمرها المثقف في خطابه التداولي، وهذا لا يعني أن يكون أسيرًا لنظرياتهم غير المستقرة، ولا أنْ يجعلها معيارًا لنقد النصوص الشرعية القطعية.

2 - كما أوصي المشتغل بدراسة آيات القرآن الكريم وتحليلها في ضوء نظريات اللسانيات، أن يراعي الخصوصية الأسلوبية للقرآن الكريم وقداسته، فلا تجره التوهيمات والتعميمات نحو تأويلات متعسفة، تخرِجُ منطوق الآية ومفهومها عن الغاية والسياق وأصول الإسلام العامة.

3 - ختامًا: أوصي كل حريص على أمن المجتمع من المختصين بشتى العلوم، بالسعي الجادّ لعقد مؤتمر دوليّ يناقش إمكانية التوافق بين الأمم، على وضع ميثاق شرف توافقي يضبط الخطاب التداوليّ بين المختلفين؛ للحدّ من خطاب الكراهية في المنابر والمنصات التواصليّة ومواقع التواصل الاجتماعيّ.

المراجع

جربوعة، إيمان. **أطروحة غرايس في اللسانيات التداولية**. مجلة آداب ذي قار. مجلد 5، عد د20، كلية الآداب، جامعة ذي قار (2016).

ابن حجر، أحمد. **الإصابة في تمييز الصحابة**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1994.

_____. **فتح الباري**. بيروت: دار الفكر، 1993.

ابن رجب، عبد الرحمن. **فتح الباري**. الرياض: دار الغرباء، 1996.

ابن سعد، محمد. **الطبقات الكبرى**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990.

ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية، 1984.

ابن عبد البر، يوسف. **جامع بيان العلم وفضله**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1977.

ابن عقيل، بهاء الدين. **المساعد على تسهيل الفوائد**. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1981.

ابن قيم الجوزية، محمد. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1991.

أبو غدة، عبد الفتاح. **الرسول المعلم**. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، 2005.

أبو موسى، محمد، **خصائص التراكيب**. القاهرة: مكتبة وهبة، 2006.

بلانشيه، فليب. **التداولية من أوستين إلى فوجمان**. ترجمة صابر الحباشة. دمشق: دار الحوار، 2007.

البيضاوي، عبد الله، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988.

الجرجاني، عبد القاهر. **أسرار البلاغة**. بيروت: دار الكتب العلمية، 2001.

الجرجاني، علي. **التعريفات**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.

خلف الله، أحمد. **يوسف بن يعقوب**. القاهرة: مطبعة السعادة، 1978.

روبول، آن. **التداولية اليوم**. ترجمة سيف الدين دغفوس، بيروت: دار الطليعة، 2003.

الرازي، محمد. **مفاتيح الغيب** بيروت: دار الفكر، 1994.

الرملي، أحمد. **فتاوى الرملي**. القاهرة: المكتبة الإسلامية، 1938.

زيدان، عبد الكريم. **الوجيز في شرح القواعد الفقهية**. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001.

السكاكي، يوسف. **مفتاح العلوم**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987.

السكوني، عمر. **عيون المناظرات**. تونس: منشورات الجامعة التونسية، 1976.

السوداني، حسين. **أصول التفكير الدلالي عند العرب**. الرياض: دار وجوه، 2017.

الشعراوي، محمد متولي. **تفسير الشعراوي**. القاهرة: دار أخبار اليوم، ط1، 1991.

الشوكاني، محمد. **فتح القدير**. دمشق: دار ابن كثير، 1994.

عكاشة، محمود. **النظرية البراجماتية اللسانية**. القاهرة: مكتبة الآداب، 2013.

العياشي، أدراوي. **الاستلزام الحواري**. الرباط: دار الأمان، 2011.

الفراء، يحيى. **معاني القرآن**. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

بن قلح، أسماء. «**المبادئ التخاطبية بين الالتزام والخرق في الليلة الثامنة من مناظرة السيرافي النحوي ومتّى بن يونس المنطقي**». مجلة التواصل الأدبي. مجلد 8، عدد 1 (2018).

القرطبي، محمد. **الجامع لأحكام القرآن**. القاهرة: دار الحديث، 1994.

القوجي، محمد. **حاشية محيي الدين شيخ زاد**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1991.

الكفوي، أيوب. **الكليات**. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994.

الماوردي، علي. **أدب الدنيا والدين**. القاهرة: دار مكتبة الحياة، 1986.

المناوي، محمد. **فيض القدير**. بيروت: دار الكتب العلمية، 2001.

النووي، يحيى. **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. بيروت: دار الخير، 1994.

النورسي، بديع الزمان سعيد. **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، تحقيق: إحسان الصالحي. إستانبول: دار سوزلر، 1994.

الهمامي، ريم. **الاقتضاء و انسجام الخطاب**. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2013.

واضح، أحمد. **الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، الجزائر (2012).

Grice, Paul. *Studies in the Way of Words*. Cambridge: Harvard University Press, 1989.

_____. *Logic and conversation*. In Cole, P., Morgan, J. (eds.). Syntax and semantics. 3: Speech acts. New York: Academic Press. 1975.

Kotani, Mariko. *Expressing Gratitude and Indebtedness: Japanese Speakers' Use of "I'm Sorry" in English Conversation.* Research on Language and Social Interaction,` vol. 35, no 1 (2011).

Thomas, J. *Meaning in Interacation. An Introduction to Pragmatics*. London & New York: Longman, 1996.